

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

– المصطلح اللساني نموذجاً –

يحيى بعيطيش

جامعة قسنطينة

مقدمة :

المصطلح لفظ علمي، يؤدي المعنى بوضوح ودقة، ولا يكون له إلا معنى واحد، يتفق عليه غالباً علماء علم من العلوم، أو فن من الفنون (1)، ومعنى ذلك أن المصطلح مفهوم يقتصر على الألفاظ التقنية المستخدمة، في أي علم أو أي فن أو أي حقل من الحقول المعرفية (2)، ويعود لفظ مصطلح (Terminologie) في اللغة الفرنسية إلى أصل لاتيني، مكون من عنصرين اثنين: (Terme) المنحدر من (Terminus) والذي معناه الحد، مضافة إليه اللاحقة الإغريقية (Logos) الواردة بمعنى العلم، فكأنه هنا في اللغة الفرنسية، وفي اللغات الأوروبية بعامة، يعني علم الحد؛ أي العلم الذي يستطيع وضع الحدود لمفاهيم حقول معرفية متخصصة (3).

أما في اللغة العربية، فهو مشتق من مادة [ص ل ح] التي من معانيها الإصلاح والصلاح، وهما ضد الفساد، وكذا المصلحة.. "فكان المصطلح في أصله، يعني اتفاق أناس على تخصيص لفظ ما لحقل معرفي معين يليق بالدلالة التي يودون الانتهاء إليها، من أجل مصلحة يجنونها.." (4).

وبناء عليه، فإن المصطلح هو الأساس المتين الذي يبني عليه أي علم؛ إذ لا يمكن أن نستوعب علماً من العلوم، دون أن نفهم الجهاز المصطلحي، الذي يصف ويفسر من خلاله الظاهرة أو الظواهر التي يدرسها، ومن البديهي القول بأن المصطلح، إذا كان ملتبساً أو غامضاً أو مضطرباً.. فإنه يؤثر تأثيراً سلبياً على المتلقي، فلا يكون العلم الذي يروم تحصيله إلا مضطرباً أو غامضاً أو ملتبساً، وبالتالي لا يتمكن من أن يتمثله أو

يحيى بعيطيش

يتعمق فيه، فضلا عن تجاوزه، للوصول إلى مرحلة الإبداع والإشعاع التي هي سبيل التقدم والتطور، والغاية التي تتنافس فيها الثقافات والحضارات والأمم والشعوب.

فالعالم المتقدم اليوم — كما لا يخفى — استطاع أن يبدع ويطور علوما في شتى ميادين المعرفة، بفضل المنظومة المصطلحية التي ابتدعها، والتي ما فتئت تتوسع، وتتكاثر بسرعة مذهلة في الآونة الأخيرة؛ إذ يدخل ساحة المعرفة في العالم ما يربو على 7300 مصطلح جديد سنويا، أي بمعدل عشرين مصطلحا كل يوم.. (5). في حين بقيت المنظومة المصطلحية في العالم العربي بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة، في شتى مجالات المعرفة، تعتمد أساسا على الترجمة من المنظومة المصطلحية في العالم المتقدم، دون استراتيجية محكمة، للحاق به أو على الأقل تقليص الفارق الكبير الذي يزداد يوما بعد يوم، الأمر الذي جعلنا نلهث دائما وراء المصطلحات الجديدة، دون أن نصل إلى مرحلة الإبداع، ومشاركة غيرنا في المنظومة المصطلحية العالمية، من جهة، ودون أن نحقق على الأقل كفايتنا من المصطلحات الجديدة، من جهة أخرى؛ إذ لا يتجاوز عدد المقابلات العربية سنويا 2500 مصطلح (6).

وعليه فإن إشكالية المصطلح مطروحة اليوم بحدّة، ويجب أن تعالج بجديّة وموضوعية، أكثر من أي وقت مضى، لحلها حلا جذريا، وهو ما تحاوله هذه الورقة، بتقديمها تصورا شاملا من خلال قراءة نقدية لإشكالية المصطلح اللساني، الذي تتخذه نموذجا لتقديم استراتيجية لحل إشكالية المصطلح في ميادين العلوم الأخرى، وبناءا على ذلك ارتأيت مقارنة هذه الاستراتيجية كالاتي:

1 — إشكاليات نقل المصطلح:

1 — 1 إشكالية الترجمة على مستوى المصطلح (المصطلح اللساني نموذجا).

1 — 2 إشكالية الترجمة على مستوى الغاية.

2 نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح:

2 — 1 استراتيجية التعريب الشامل.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

2 — 2 الترجمة بين ديناميكية الماضي وسكونية الحاضر.

2 — 3 المصطلح بين الابداع والتبعية.

2 — 4 الحل الجذري لإشكالية المصطلح.

خاتمة

1 — إشكاليات نقل المصطلح:

إن اللجوء إلى الترجمة، كخيار استراتيجي، لنقل المصطلحات من المنظومة المصطلحية للعالم المتقدم، يطرح إشكالية معقدة، متعددة الجوانب، إن على مستوى الترجمة نفسها أو على الغاية منها.

1 — 1 إشكالية الترجمة على مستوى المصطلح (المصطلح اللساني نموذجاً):

وتتمثل في إيجاد المقابلات العربية لنظائرها من المصطلحات في اللغات الغربية، خاصة في اللغتين الانجليزية والفرنسية (7)، وهنا تطرح إشكالية مزدوجة، تتمثل في عجز تام في بعض الحقول العلمية الجديدة... أو نسبي في أحسن الظروف، لتغطية الكم المصطلحي الهائل الذي تمطرنا به لغات العالم المتقدم، بحيث أصبح في مواجهة فقر مصطلحي من جهة، وفي مقابل ذلك، فإن ذلك الكم المصطلحي القليل الذي لا يفي بالحاجة، كثيراً ما يشكو من إسهال مصطلحي أو ما أصبح يعرف بالتراصف أو الفوضى المصطلحية؛ حيث يواجه المتلقي عشرات المصطلحات للمصطلح الأجنبي الواحد، كما سيتضح من استعراضنا لهذه العينة من المصطلحات اللسانية، التي اعتمدناها نموذجاً في بحثنا.

لقد بدأت إشكالية المصطلح اللساني، تطرح بجديّة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، بدخول النظريات اللسانية الحديثة إلى الجامعات العربية، في الأقطار العربية المختلفة، إذ أضحى من الصعب، أن يجد القارئ — سواء كان قارئاً عادياً أو متخصصاً — نصاً لسانياً معاصراً، لا يشكو علة مصطلحية، أساسها هذا التراصف المصطلحي، الذي يصل أحياناً إلى عشرات الألفاظ، للمصطلح الأجنبي الواحد المعبر

يجي بعيطيش

بدقة ووضوح عن مفهوم واحد، متفق عليه عند علماء اللغة، لكنه على خارطة الثقافة اللسانية العربية، يبدو أن وظيفته تختلف عن صنوها الغربي؛ فهو عوض أن يكون عامل توحيد بين اللسانيين العرب، أمسى في بعض الأحيان عبئا ثقيلا على البحث والقارئ، وعلامة فاضحة لقطرية ضيقة؛ إذ يكاد كل بلد عربي أن ينفرد بمصطلحاته اللسانية.

ولعل العينات المصطلحية التي أذكرها بعد قليل، أدلة سائدة لما زعمت، وأبدأها بمصطلحين لسانيين متداولين كثيرا في اللسانيات والتعليمية، وهما مصطلحا (compétence) و (performance) حيث يوزعان جغرافيا كآآتي:

قدرة/إنجاز (8) ملكة لغوية/تأدية لغوية (9) الكفاءة/الأداء (10) المقدرة اللغوية/الأداء اللغوي (11) الكفاية/الأداء (12) السليقة/الأداء (13) الكفاية اللغوية/الأداء الكلامي (14) المقدرة/الأداء (15) قدرة/أداء (16).

ومصطلح (structuralisme) الذي تضاربت مقابلاته بين المغرب والمشرق، سواء تعلق الأمر بحقلها الأصلي (اللسانيات) أو بانتقالها إلى النقد الأدبي: من هيكلية في تونس (17) وبنوية في الجزائر (18) وبنوية في المغرب الأقصى (19) وبعض دول المشرق، إلى بنائية (20) وبنائية (21) وبنوية (22) وتركيبية (23) ..

وما يلاحظ على مصطلح البنوية كمنهج، ينسحب على أغلب مصطلحاته، ولنأخذ على سبيل المثال مصطلح (phonème) الذي نجد له المقابلات التالية: صوتم (24) حرف مبنى (25) صوت (26) صرفية (27) وحدة صوتية (28) صوت لغوي (29) فونيم (30)

وفي المنهج السيميائي، نجد تضاربا كبيرا في ترجمة لفظتي (sémiologie) و (sémiotique) فقد مثل لهما بالمترادفات التالية: السيميائية، السميولوجية، السميوطيقية، العلامة، الإشارية، علم الإشارات، علم العلامات، الأعراضية، الدلائلية، الدلالية (31). ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الفوضى المصطلحية، لا تقتصر على اختلاف المصطلحات بين البلدان العربية فحسب، بل نجد أحيانا خلافا مصطلحيا بين لسانيين أو

نحو استراتيحية لحل إشكالية المصطلح

نقاد بلد واحد، فقد تجده عند ناقد واحد؛ يبتدئ مشواره النقدي في مؤلف بمصطلح ثم يعدل عنه إلى مصطلح آخر في دراسة ثانية ثم يغيره في دراسة ثالثة (32).

كما قد لا تسلم الدراسة النقدية الواحدة من الترادف المصطلحي؛ كأن تجد فيها خمس لفظات (الدلائلية، السميائية، السميولوجية، السميوطيقية، التأويلية) (33) للمصطلح الأجنبي (sémiologie).

وقد لا تسلم الصفحة الواحدة بل الفقرة الواحدة، من سمة الترادف؛ كالمترجم الذي يشرح لك مصطلح (morphème) بثلاث كلمات (مورفيما، شكيلات، صرفيمات) (34)، أو يتساهل بعض الدارسين مع صرامة المصطلح اللساني، فيجعل من علم الدلالة وعلم العلامات والسميوطيقا أسماء لمسمى واحد، ومن العلامة والرمز والبال ثلاثة مفاهيم مترادفة (35)...

وبناء على العينات السالفة الذكر، يمكن لنا أن نقول: إن اللسانيات الحديثة، إذا كانت عند الغربيين — رغم تباين لغاتهم — قد اتخذت اتجاهها علميا صارما، قادها إلى التدقيق في المفاهيم والدوال الاصطلاحية الموحدة الحاملة لها، انعكس إيجابيا على الحقول المعرفية الإنسانية الأخرى، كالنقد الأدبي والتعليمية والترجمة.. فإن اللسانيات العربية الحديثة، اتجهت في بعض الأحيان نحو التشويش والفوضى المصطلحية، انعكست سلبيا على الحقول الإنسانية الأخرى، فصلة اللسانيات بالترجمة وبتعليمية اللغات، تكاد أن تكون مقطوعة، كما نجد شكوى من غموض المصطلحات واستغلالها أحيانا، في مجال الدراسات النقدية؛ الأمر الذي جعل الأديب شوقي بغدادي، يعيد تشكيل نص مقالة نقدية، بعد أن غير منها أربعا وسبعين مفردة، ناعيا على صاحبها لغته المعقدة الغامضة في صياغتها ومصطلحاتها التي لم تكن موفقة لغويا ومعرفيا (36).

1 - 2 إشكالية الترجمة على مستوى الغاية:

يلاحظ المتتبع حركة الترجمة بصفة عامة، وهي مجال العلوم الإنسانية واللسانية بصفة خاصة، أنها قليلة، إذا ما قيست بالكم المعرفي الهائل المنفق في العالم المتقدم، إن

يجي بعيطيش

في مجال التنظير أو مجال الممارسات التطبيقية، يضاف إلى ذلك التأخر المسجل هنا وهناك، فأحيانا نترجم نظريات، تأكلت وتجاوزها الزمن، كما هو الحال مع البنيوية (37)، أو بعد انسحابها من بؤرة الصدارة في بلادها الأصلية (38).

وفي هذا الصدد، يمكن أن نشير إلى سلبية هيمنة اللغة (الإنجليزية أو الفرنسية) على الترجمة عندنا، فهناك نظريات علمية ورؤى فكرية، جد متقدمة في لغات أخرى، لكن الهيمنة اللغوية للغتين السالفتين، فرضت علينا أن نترجم في الغالب عن الروسية أو الإيطالية أو الإسبانية أو الألمانية.. بلغة وسيطة "ومن ثم بواسطة نظرة تأويلية، باعدت بيننا وبين الأصل المباشر" (39).

ومن السلبيات الأخرى التي كان لها تأثير كبير على الترجمة، غياب الاستراتيجية الفاعلة، فعلى الرغم من وجود مؤسسات متخصصة، كالمجامع اللغوية، ومكتب تنسيق التعريب وخاصة منظمة الألكسو التي وضعت خطة شاملة للترجمة (40)، فإن غياب المتابعة الميدانية والخطة الشاملة الرشيدة المدعومة بسياسة مساندة، نتج عنها أحيانا فوضى عارمة في المضامين والموضوعات المترجمة؛ حيث فتح الباب على مصراعيه للترجمات الفجة المتسرعة، التي غلب عليها طابع التجارة والبرنسة، فأصبح سوق الكتاب المترجم يعج بترجمات هشة مشوشة لكثير من ميادين المعرفة، إلى جانب "ترجمات كتب الغزل والنسيج ورياضة اليوغا والطهي..." (41)، وبذلك اختلط الحابل بالنابل في ميدان الترجمة، وأصبح المترجم الذي تتوفر فيه شروط الترجمة، من إتقان اللغة المصدر و لغة الهدف عملة نادرة.

وهكذا، ضاعت الغاية من الترجمة، فأصبحت في الغالب ظاهرة مرضية، تكرر التبعية للثقافة الغربية من جهة، والضعف اللغوي من جهة أخرى، وذلك لقيامها على جهود فردية مبعثرة، غاب فيها التنسيق والتكامل، ولافتقارها إلى استراتيجية شاملة، تحدد فيها الأولويات، وتوضح فيها الغايات والأهداف، التي تجعل من الترجمة خميرة إبداع وإشعاع، ننقل فيها من مرحلة التلقي والتلمذة إلى مرحلة المشاركة والأستاذية، كما

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

تم فعلا في الحضارة العربية قديما، وفي الحضارات المعاصرة حديثا، بفضل استراتيجية شاملة، تضع الترجمة في مكانها الصحيح السليم، لا المرضي كما سنوضحه في موضعه من هذا البحث.

2 - نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح:

اتضح مما سبق إيجازه، أن أسباب ومسببات إشكالية الترجمة بصفة عامة، وإشكالية نقل المصطلح بصفة خاصة، والمصطلح اللساني بصفة أخص، تعود بالدرجة الأولى إلى غياب استراتيجية فاعلة، حيث غاب التنسيق والتكامل والتخطيط بين اللسانيين.

غير أن الفعالية في غياب استراتيجية شاملة، غير كافية لحل إشكالية المصطلح حلا جذريا، يظهر ذلك جليا في المصطلح اللساني الذي اتخذناه نموذجا؛ إذ أن هذا الأخير، رغم عيوبه التي تحدثنا عنها آنفا، يعتبر من النماذج الاصطلاحية الناجحة كما وكيفا، إذا ما قيس بغيره من المصطلحات، خاصة في مجال العلوم الطبيعية التي مازالت مصطلحات الكثير من فروعها الدقيقة، بدون مقابل في اللغة العربية، وحتى الفروع العامة التي وضعت لها قوائم اصطلاحية، غطتها جزئيا أو كليا، لا يزال معظمها رهين الرفوف وأدراج مكاتب المؤسسات العلمية، كالمجامع اللغوية ومنظمة الألكسو ومكتب تنسيق التعريب... لأن معظم هذه الفروع، لا تزال تدرس باللغات الأجنبية، في أغلب بلدان الوطن العربي، الأمر الذي يفوت فرصا كثيرة على اللغة العربية، أهمها:

— بقاء الطاقات البشرية الحية، من أساتذة وباحثين و مبدعين موظفين لصالح اللغات الأجنبية.

— حرمان اللغة العربية من التطور والرقى وإبداع المصطلحات المناسبة.

— تكريس التبعية للمصطلح الأجنبي وبقاء إشكالية المصطلح تدور في حلقة مفرغة.

وفي مقابل كل ذلك، استطاع المصطلح اللساني، أن يفرض وجوده على الساحة العربية والعالمية، رغم العيوب التي ما زالت ترافقه — كما سيتوضح بعد قليل — وذلك بفضل إبداعه لنظريات لسانية موازية للنظريات اللسانية الحديثة، كالنظرية النحوية

يجي بعيطيش

الخليلية الحديثة(42)، لعبد الرحمن حاج صالح، وهي نظرية أصلت لنحو بنيوي عربي، استمد أسسه ومبادئه من نهج الخليل وتلميذه سيوييه، والنظرية اللغوية الحديثة(43) للدكتور جعفر دك الباب، أصل فيها لنحو بنيوي وظيفي، من خلال نظرية ابن جني ونظرية عبد القاهر الجرجاني ونظرية الوجهة الوظيفية للجملة لماتزيوس(44)، والنظرية المعجمية الوظيفية(45) للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، أصل فيها لنحو عربي توليدي، ثم نظرية النحو الوظيفي(46) التي أصل فيها الدكتور أحمد المتوكل لنحو عربي وظيفي، في إطار مبادئ نظرية النحو الوظيفي لسمون ديك.

إن هذه النظريات النحوية التي واكبت الثورات اللسانية الحديثة(47)، تتكامل فيما بينها لتكون النظرية العربية الحديثة(48) في اللسانيات العامة، ومع ذلك فقد بقيت هذه النظريات، في أغلب الأحوال مقتصرة على أصحابها، وبعض تلامذتهم، دون أن تثري وتعنى، وتمحص الكفاية العلمية لجهازها المصطلحي على وصف ظواهر اللغة العربية وتفسيرها، ودون أن تطبق في المجالات المعرفية الأخرى، كمجال النقد الأدبي أو تعليمية اللغات أو الترجمة.. على غرار ما جرى مع النظريات الغربية الحديثة.

وعلى الرغم من هذه النقائص، فإن المصطلحات اللسانية، أمست دقيقة ومتجددة كالإعلام الآلي، تتجدد مصطلحاتها المعقدة وتتطور كل ستة أشهر على الأكثر، إلا أن العربية المعاصرة وسعتها استعمالاً واستيعاباً، بفضل اللسانيين الذين استطاعوا إيجاد المصطلحات العربية التي تؤدي ليس فقط معاني المفاهيم في اللغات الأجنبية، بل إبداع المصطلح داخل اللغة العربية نفسها(49)، وذلك لتمكنهم من اللغة العربية من جهة، ومعرفة المفاهيم في أصولها الأجنبية من جهة أخرى.

وبناء عليه، يمكن أن نعتبر المصطلح اللساني ناجحاً ونموذجياً، خاصة إذا تلافى اللسانيون النقائص والسلبيات التي تحدثنا عنها آنفاً، بالاستفادة من أخطاء الماضي، وبتنسيق الجهود بين الهياكل النحوية في العالم العربي، بالاعتماد على وسائل الاتصال المتطورة الحديثة.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

لكن نجاح المصطلح اللساني، بهذه الكيفية أو بتلك، بمعزل عن مصطلحات العلوم الأخرى، لا يعتبر إلا نجاحاً جزئياً، تبقى معه إشكالية المصطلح مطروحة، تنتظر حلها الجذري الشامل.

ويسند ما نذهب إليه، بقاء العلوم الدقيقة والعلوم التكنولوجية بصفة خاصة، تدرس في التعليم باللغات الأجنبية، بحجة صعوبة العثور على المصطلح اللائق باللغة العربية (50). فأساندة العلوم والتكنولوجيا عندنا، لا يتقن أغلبهم اللغة العربية، بالقدر الذي يجعلهم، يبدعون مصطلحات جديدة لآلاتهم المعقدة وأجهزتهم المتطورة (51)، كما هو الحال مع اللسانيين.

و عليه، فلا بد من حل جذري شامل لإشكالية المصطلح، بانتهاج استراتيجية تعريبية شاملة، لا تقتصر على تعريب العلوم في مرحلة التعليم العام، بل تمتد إلى التعليم العالي، متخذة خطة تدريجية محددة المراحل ومدققة الأهداف، تعيد للغة العربية مكانتها، وللغات الأجنبية حجمها الطبيعي وللترجمة وضعها الإيجابي دون إفراط ولا تفريط، كما تضع منهجية تعليمية خاصة لتعريب الطاقات البشرية والإطارات العالية المكونة باللغات الأجنبية، لتطعم اللغة العربية وثقافتها بدم جديد، يقويها وينميها ويصل بها ليس إلى مرحلة إيجاد المصطلح المقابل فحسب، بل إلى مرحلة إبداعه والمشاركة به في المنظومة المصطلحية العالمية.

2 - 1 استراتيجية التعريب الشامل:

يعني مفهوم التعريب الشامل عدنا، مشروعاً ثقافياً ضخماً، ذو أبعاد ثقافية واجتماعية واقتصادية... ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتنمية والتطور، الذي تطمح إليه كل بلدان الوطن العربي، كبلدان منفردة لهل خصوصياتها، أو مجتمعة لها قواسم مشتركة وتطلعات وغايات وأهداف موحدة، على رأسها الخروج من التخلف والتبعية، وبلوغ النهضة الشاملة، للحاق بركب الأمم المتقدمة.

يحيى بعيطيش

فالتعريب الشامل إذن، يرتبط بالإنسان العربي، وأداته الأساسية الممثلة لهويته وأصالته؛ أي لغته، فهما وجهان لعملة واحدة، لا تقبل فصل أو تغيير أحد وجهيهما، دون أن تفصل الوجه الآخر أو تغيره، فلا عربية متطورة بدون إنسان عربي متطور، والعكس صحيح(52)، ومنتوج ذلك هو اتباع استراتيجية تعريبية، ذات أبعاد متعددة، أهمها:

2 - 1 - 1 البعد السياسي: الذي يحقق التوازن و التجانس الثقافي، بين أفراد المجتمع على الصعيد القطري، وبين المجتمعات العربية على الصعيد العربي، بنبذ الخلافات العرقية والمذهبية..تأسيا بشعوب وأجناس، تعيش اليوم مكتلة متحدة، رغم اختلافاتها العرقية والايديولوجية واللسانية.

2 - 1 - 2 البعد الاجتماعي: ويشمل تحقيق جملة من المشاريع أهمها:

— مشروع إجبارية التعليم وديمقراطيته، لكل طفل عربي بلغ سن الدراسة، بحيث تتاح له كل الفرص لتلقي التكوين الذي يناسب قدراته، و يكون له الحق في استكمال تكوينه العالي.

— مشروع تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المؤسسات، والمرافق الاجتماعية التي تمس حياة المواطنين من قريب أو بعيد.

— إنجاح مشاريع محو الأمية، بتفعيل تعليمها، بمنهجيات تعليمية حديثة، تساعد على نشر اللغة العربية قراءة وكتابة، في الأوساط الشعبية العريضة..

2 - 1 - 3 البعد الاقتصادي: ويحقق النجاح الاقتصادية في البلدان العربية، فقد أصبحت المشاريع الاقتصادية، في نهاية الألفية الثانية، تقوم على تقنية متطورة ومعقدة، يستحيل على العمال التجاوب معها ما لم يكن لديهم مستوى تعليمي، يسمح لهم بأن يكونوا في مستواها وفهم أسرارها.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

وعليه، أصبح من المحتم، تكوين الفنيين والمتخصصين في مجالات اقتصادية متعددة، غير أن الدراسات العلمية، أثبتت أن أحسن تكوين يحقق الفعالية والمردودية العالية، هو التكوين الذي يجري باللغة الأصلية (53).

2 - 1 - 4 البعد الثقافي الحضاري: ويرتبط بتحقيق التنمية العلمية، عن طريق إجراء البحوث والدراسات في جميع المجالات باللغة الأصلية، أي اللغة العربية، باسترجاعها لمكانتها، خاصة في التعليم العالي، كما سنوضح في مكانه من هذه المداخلة.

2 - 2 الترجمة بين ديناميكية الماضي وسكونية الحاضر:

بعد العرض السابق، لعل الأسئلة التي تطرح نفسها هي:

هل الأفكار التي طرحت سابقا، حول مفهوم التعريب الشامل قابلة للتحقق، أو أنها مجرد أفكار طوباوية، وشعارات تلقى في بعض اللقاءات والمناسبات ليس إلا؟ وهل حقا أن التعريب هو سبيلنا الصحيح إلى الالتحاق بركب الأمم المتقدمة؟ وكيف يتم ذلك؟

ولما بقيت الأقطار العربية مجتمعة أو منفردة، تراوح مكانها، دون أن تخرج من تخلفها، فضلا عن أن تصل إلى ما وصلت إليه الأمة العربية في سالف الزمن؟ مع أنها اعتمدت المنهج نفسه، أي منهج التعريب أو الترجمة.

ليس غرضي من طرح الأسئلة السابقة، أن أجيب عنها بدقة وتفصيل، وإنما غرضي أن أنطلق من حقيقة واقعية، يعرفها كل الناس ولا يختلف حولها اثنان، ولهذه الحقيقة وجهان: قديم وحديث.

فالوجه القديم لهذه الحقيقة، يتمثل في حركة الترجمة الديناميكية، التي عرفتتها الحضارة العربية في العصر العباسي، التي تنوعت فيه حركة الترجمة والتعريب، بتنوع المؤسسات الثقافية، كبيت الحكمة ودور العلم والمساجد والمكتبات والمجالس الخاصة والعامة، حيث اتخذت كل مؤسسة أساليبها الخاصة في تكوين الاطارات التي تحتاجها،

يجي بعيطيش

حسب العلم أو الفن الذي تعنى به، فكان لبيت الحكمة طريقته الخاصة في تكوين العلماء والمترجمين، وللمسجد طرائقه في تكوين المحدثين والفقهاء والقضاة والوعاظ(54).

وبكلمة مختصرة، فقد شهدت حركة الترجمة والتعريب انطلاقتها الكبرى في ذلك العصر، وكانت هذه الانطلاقة من أهم العوامل التي فتحت أبواب المعرفة الإنسانية للعرب، فقد أدركوا بوعي كبير، ضرورة الانفتاح على علوم الأمم التي سبقتهم، فنقلوا أولا تلك العلوم إلى لغتهم، على أن تكون عملية النقل هذه مقدمة تؤدي إلى مرحلة الإضافة والإبداع فيما بعد(55).

وبذلك، كانت حركة الترجمة حركة ديناميكية، قادت أجدادنا وقتئذ، ليس إلى مرحلة الإبداع والمساهمة في الحضارة العالمية فحسب، بل إلى الريادة والإشعاع طوال خمسة قرون(56)، أعطت فيه اللغة العربية آلاف المصطلحات للغات الإنسانية(57)، وكانت عصرئذ لغة العلوم والفنون ولغة السياسة والتجارة، وبفضلها تفجرت الطاقة الإبداعية للمتقف العربي.

ومما يلاحظ، أن هذه الحركة الديناميكية، لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا باتباعها استراتيجية تعريبية شاملة، توافرت لها شروط النجاح اللازمة، وأهمها(58):
2 — 2 — 1 الرغبة القوية في إتقان اللغة العربية، واعتبار إتقانها واجبا دينيا وضرورة حضارية.

2 — 2 — 2 توفير الإطارات المختصة الواعية بقيمة رسالتها العلمية والثقافية، والمعتزة بانتمائها إلى الحضارة العربية الإسلامية.

2 — 2 — 3 تعريب الكفاءات الأجنبية واستثمارها في عملية الترجمة.

2 — 2 — 4 التشجيع المادي خاصة لترجمة ما تحتاجه العربية آنذاك من معارف في جميع حقول المعرفة

2 — 2 — 5 توفير المؤسسات العلمية اللازمة ورعايتها من قبل الخلفاء ورجال الدولة.

2 — 2 — 6 اتباع منهج قوي في ترجمة العلوم والفنون، يقوم على مبدأين:

نحو استراتيجيية لحل إشكالية المصطلح

— يتوخى أولهما الاستفادة من مادة الموضوع، ويعرضه بوجهة نظر الفكر الاسلامي.

— ويتوخى ثانيهما الصياغة الشكلية التي تظهر فيها براعة المترجم اللغوية، فتصبح صياغتها منقولة وكأنها لم تنقل (59).

فهذه الشروط وغيرها، توفرت في الحركة القديمة، ولم يتوفر منها إلا القليل في حركة الترجمة المعاصرة، مما أضفى عليها طابعا سكونيا، لم يتجاوز بها مرحلة النقل والتلقي.

2 — 3 المصطلح بين الإبداع والتبعية:

إذا كانت حركة الترجمة العربية المعاصرة، قد اتسمت بالسكونية، فإنها عند شعوب وأمم أخرى، في العصر الحديث، اتسمت بالديناميكية، حيث توافرت فيها كل الشروط اللازمة لإنجاحها، تماما كما حدث عند أسلافنا وعلى رأس هذه الشروط، الاعتزاز بالانتماء الثقافي والحضاري، والاقتران التام بأن الإبداع تفتح وأصالة، وأساس هذه الأصالة، هي الأصالة اللغوية التي لا يكون الإبداع إلا بها.

وفعلا فقد آمنت بعض الأمم المعاصرة بأصالة لغاتها إلى درجة التقديس، كما هو الحال عند الأوروبيين بصفة عامة، خاصة الألمان منهم (60)، وخير مثال على ذلك، التجربة الألمانية التي تعد معجزة القرن العشرين، التي استطاعت خلال نصف قرن، أن ترتقي بصناعاتها، وتتصدر طليعة الدول المصنعة، بفضل وضعها في بداية نهضتها، بين أيدي علمائها وفنييها أحدث النظريات التطبيقية في الصناعة الأميركية والأوروبية، باللغة القومية (61).

وبذلك استطاعت هذه الشعوب أن تبدع المصطلح بلغاتها، وأن تسهم بالتالي في المنظومة المصطلحية العالمية، وتدخل إلى الحضارة المعاصرة من بابها العريض.

في حين بقيت الشعوب العربية، في تبعية فكرية للمنظومة المصطلحية، في العالم المتقدم، لشكها وعدم إيمانها بعبقريية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب منجزات

يجب بعيطيش

الحضارة المعاصرة، إذ لا تزال إلى اليوم مبعدة عن معترك الحياة العلمية، في البحث العلمي والتعليم العالي.

2 - 4 الحل الجذري لإشكالية المصطلح:

اتضح لنا من خلال ما تقدم، أن حل إشكالية المصطلح في أي علم من العلوم، ترتبط بوضع استراتيجية تعريبية شاملة، ولن تعرف هذه الأخيرة طريقها إلى النجاح، إلا بتوفير جمل من الشروط، كالتي توفرت لحركة التعريب القديمة، والحركات التأصيلية المعاصرة. ولكي تكون هذه الاستراتيجية ناجعة وفعالة، لحل إشكالية المصطلح حلا جذريا، عليها أن تضبط ضبطا محكما المفاهيم الأساسية التالية:

2 - 4 - 1 استرجاع مكانة اللغة العربية: ويكون ذلك، بأن يفسح المجال لها لتسترجع مكانتها الطبيعية، ويعني ذلك أن تكون اللغة الحية الأولى، التي تنقل بها المعارف العلمية في جميع مراحل التعليم العام، والعالي في كل التخصصات الجامعية، وتجرى بها مختلف البحوث العلمية، على الصعيد النظري والتطبيقي، بحيث تدخل معترك الحياة الفكرية والعلمية والتقنية، وتستعمل في المؤسسات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية..على غرار اللغات الحية في العالم المتقدم.

2 - 4 - 2 ضبط وظيفة اللغات الأجنبية: ويعني ذلك تحديد الدور الذي تلعبه اللغات الأجنبية، كما هو الحال في العالم المتقدم، بحيث تكون وسائل مساعدة للغة الأصلية، أي نوافذ تفتح بها هذه الأخيرة على المستجدات العلمية والتقنية، لا أن تحل محلها، وهذا لا يعني أبدا الانغلاق على الذات، أو الاكتفاء بلغة واحدة، هي اللغة العربية، وإنما نعني به الانفتاح الصحيح السليم على اللغات الحية، بإتقان اللغة الأصلية أي اللغة العربية أول، ثم إتقان لغة أو لغات أجنبية إن أمكن، السهم هو التغلغل من الرضخ الشاذ أو العرضي، التي تعرفه بعض البلدان العربية، وعلى رأسها الجزائر، حيث يتم أحيانا إتقان لغة أجنبية، كالفرنسية مثلا على حساب اللغة العربية، أو إتقان اللغة العربية دون إتقان أي لغة حية أجنبية.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

2 — 4 — 3 تعريب الكفاءات المكونة باللغات الأجنبية: ويشمل تعريب كل الطاقات المكونة باللغات الأجنبية، كالإطارات السامية والأساتذة الجامعيون والباحثون في مختلف التخصصات... وذلك بإقناعهم في البداية بأن تعريبهم، يحقق قفزة نوعية في التقدم العلمي والحضاري للبلد، من جهة والاعتناع فعلا بأن تعريب هذه الكفاءات، يعني نقل خبرات علمية ومعرفية تطعم اللغة العربية وثقافتها بدم جديد، من جهة أخرى، ومن ثمة فلا بد، إذا حصل الإقناع والاعتناع بضرورة تعريب هذه الفئات، من إعداد برامج تعليمية خاصة بهم، يشرف عليها خبراء في التعليمية، وتستفيد من المنهجيات الحديثة في تعليمية اللغات الحية، لتتحكم هذه الفئات في اللغة العربية تحكما، يسمح لهم بالسير في اتجاهين(62):

اتجاه أول، يمكنهم من الاطلاع المباشر على المصادر الأساسية في التراث العربي الإسلامي المشرق، كل حسب تخصصه، لتلمس جوانبه الإيجابية وتطويرها. اتجاه ثان، يمكنهم من إتقان اللغة العربية، ويعددهم للترجمة السليمة من اللغات التي يتقنونها للمساهمة في إغناء وإثراء الثقافة والحضارة المعاصرة.

2 — 4 — 4 الترجمة المطلوبة: ونعني بها تقييد الترجمة ببعض الضوابط، لتسير في الاتجاه الصحيح السليم؛ لأن الترجمة سلاح ذو حدين، فإما أن تكون مصوغة صياغة دقيقة، تعطي المعاني المنقولة شكلا معوضا أصالة عن شكلها الأصلي، فتكون مفيدة مغذية للفكر ومنمية له، وإما أن تكون رديئة مفقرة للفكر مشوشة له، لأنها تشوه اللغة الناقلة والمنقول منها.

وعليه، فلا بد من بعض الضوابط التي نجمل منها الآتي:

2 — 4 — 1 ضرورة إعداد المترجم الجيد، ذي الثقافة الواسعة، الذي يتقن اللغة الناقلة والمنقول منها.

2 — 4 — 2 ضرورة وضع خطة محكمة في كل علم وفن، وتحديد الأولويات لترجمة ما يكون فعلا مفيدا.

يجب بعيطيش

2 — 4 — 3 ضرورة التنسيق بين معاهد ومؤسسات الترجمة، على المستوى القطري والعروبي، لتفادي التكرار و ضياع الجهد والوقت والمال.

2 — 4 — 4 ضرورة ضبط مراحل زمنية لعملية الترجمة، تتدرج في كم وكيف ما يترجم، بهدف الوصول إلى مرحلة الترجمة الطبيعية، أي مرحلة التبادل التي نصل فيها إلى نوع من التوازن في الترجمة مع الغير، بحيث نترجم عنه ويترجم عنا..

خاتمة

حاولنا في هذه الورقة أن نتلمس إشكالية المصطلح من خلال قراءة نقدية للمصطلح اللساني، بينا فيها ما له وما عليه، حيث عرضنا سلبياته ونقائصه، وإيجابياته الكثيرة التي يمكن أن نتخذ نموذجا يحتذى بها، خاصة إذا تلافينا السلبيات والنقائص التي يمكن تجاوزها، وذلك في إطار استراتيجية تعريبية شاملة تأخذ العبرة من ماضي أجدادنا، ومن الشعوب المعاصرة لنا، بتوفير الشروط الضرورية، وإعادة ضبط بعض المفاهيم وتصحيحها، كمفهوم مكانة اللغة العربية، وضبط وظيفة اللغات الأجنبية وضرورة تعريب الكفاءات البشرية المكونة باللغة الأجنبية، وضرورة وضع معايير دقيقة لضبط عملية الترجمة، لتكون أساسا قويا، نسير عليه بخطى ثابتة إلى الألفية الثالثة، لندخلها باطمئنان وأمان.

ومما ينبغي التنبيه إليه في نهاية المطاف، أن الخطوط العريضة التي ذكرناها ضمن الاستراتيجية التعريبية الشاملة التي ذكرناها، لن يكون لها مفعول، إذا لم تشفع باستراتيجية تقنية، يضعها خبراء اقتصاديون، يرصدون لها الغلاف المالي المناسب، وفي هذا السياق يكفي أن نذكر بأن الدول العربية، إذا أرادت فعلا أن تحقق إقلاعا حضاريا جديدا، تتدارك به ما فاتها، فعليها أن تضاعف ميزانياتها المالية لتحقيق ذلك، تأسيسا بالدول المتقدمة في وقتنا الراهن، أو بأسلافنا الذين كانوا يقدمون وزن الكتب المترجمة ذهبيا خالصا.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

الهوامش

- (1) ينظر المعجم الوسيط.
- (2) Petit Larousse Illustré 1983. Librairie Larousse. Paris.
- (3) ينظر عبد الملك مرتاض: صناعة المصطلح في العربية. في مجلة: اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية. العدد الثاني. مطبعة هومة. الجزائر 1999. ص: 11.
- (4) نفسه. ص: 12.
- (5) ينظر صالح بلعيد: تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة. في ندوة: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية. أيام: 6 — 8/11/2000. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2001 ص: 321.
- (6) نفسه. ص: 321.
- (7) ينظر جابر عصفور: حول المشروع القومي للترجمة. العربي، عدد 494 يناير 2000 ص: 104.
- (8) ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب. ط2. الدار العربية للكتاب 1982.
- (9) ينظر عبد الرحمان حاج صالح: مجلة اللسانيات. العددان: 5، 6 جامعة الجزائر 1984.
- (10) ينظر عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية 1988.
- (11) ينظر مازن الوعر: الأسلوبيات اللسانية. في الموقف الأدبي، الأعداد: 222، 223، 224/ تشرين أول، تشرين ثاني، كانون أول 1989. ص: 170.
- (12) ينظر هادي نهر: شومسكي وثورته اللغوية. محاضرة أقيمت على طلبة الدراسات العليا بجامعة قسنطينة 1984.
- (13) ينظر نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث. عمان 1987.
- (14) ينظر ميشال زكريا: الأسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية. ط1. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان 1982 ص: 32 — 33.

يحيى بعيطيش

- (15) ينظر محمد علي الخولي: قواعد تحويلية للغة العربية. ط1. دار المريخ. المملكة العربية السعودية 1981. ص: 25.
- (16) ينظر جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل. ط1. دار المعرفة الجامعية. مصر 1985 ص: 77.
- (17) ينظر توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث. الدار العربية للكتاب. تونس 1984 ص: 173.
- (18) ينظر عبد الرحمان حاج صالح: النحو العربي والبنوية، محاضرة وزعت على طلبة الدراسات العليا بجامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة، نهاية أبريل 1999.
- (19) ينظر عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية. منشورات عويدات. بيروت 1986.
- (20) ينظر صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي. ط3. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت 1985.
- (21) ينظر توفيق الزيدي: نفسه. ص: 173.
- (22) نفسه. ص: 173.
- (23) ينظر يوسف، و غليسي: إشكالية المنهج والمصطلح في تجربة عبد المالك مرتاض النقدية. أطروحة ماجستير مرقونة. بمكتبة جامعة قسنطينة 1996 ص: 116.
- (24) ينظر عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات. الدار العربية للكتاب. تونس 1984.
- (25) ينظر مجلة اللسانيات. مرجع سابق.
- (26) ينظر زبير سعدي: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية. أطروحة دكتوراه دولة مرقونة بمكتبة جامعة قسنطينة. جامعة الجزائر 1989.
- (27) ينظر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية. مرجع سابق.
- (28) ينظر يوسف و غليسي: مرجع سابق. ص: 265.
- (29) نفسه. ص: 265.

نحو استراتيجيّة لحل إشكالية المصطلح

- (30) ينظر ميشال زكريا: مرجع سابق. ص: 291.
- (31) ينظر يوسف و غليسي: مرجع سابق. ص: 166.
- (32) نفسه. ص: 262.
- (33) ينظر عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي. ط1. ديوان المطبوعات الجامعية. المطبعة الجهوية بوهراّن. الجزائر 1993.
- (34) ينظر جان سرفوني: الملفوظية. تر: قاسم المقداد. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1998 ص: 13.
- (35) ينظر عبد الله حمادي: مساءلات في الفكر والأدب. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1994 ص: 191.
- (36) ينظر شوقي بغدادى: المسخ اللغوي "من سوء التفاهم إلى سوء الخلق" مقالة في مجلة الآداب. السنة: 42 العدد: 8 و 9 أوت - سبتمبر 1994.
- (37) ينظر عبد الله أبو هيف: الأدب العربي وتحديات الحداثة. ط1. دار الصداقة للطباعة والنشر. بيروت 1987.
- (38) جابر عصفور: حول المشروع القومي للترجمة. العربي، العدد: 494 رمضان 1420هـ - يناير 2000. ص: 104.
- (39) نفسه. ص: 102.
- (40) ينظر صالح بلعيد: اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية. الجزائر 1995.
- (41) محمد علي زيد: عن الترجمة واللغة والتحديث والتخريف. في سلسلة كتاب قضايا فكرية بإشراف محمود أمين العالم. قضايا فكرية للنشر والتوزيع. القاهرة. ص: 183.
- (42) تنظر مقالاته في مجلة اللسانيات، الأعداد: 1، 2، 3، 4 وأبحاثه المنشورة خاصة :

يجي بحيطيش

— المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي. في : تقدم اللسانيات في الأقطار العربية: وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987. ط1. دار الغرب الإسلامي، لبنان 1991. ص ص: 367 — 394.

— النظرية الخليلية الحديثة. في: مجلة اللغة والأدب. ع: 10، رجب 1417 هـ، ديسمبر 1996. معهد اللغة العربية وآدابها. جامعة الجزائر.

(43) ينظر جعفر دك الباب: النظرية اللغوية الحديثة. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1996.

(44) ينظر جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز. مطبعة الجليل. دمشق 1980.

(45) ينظر عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية. منشورات عويدات. بيروت 1986.

(46) ينظر أعمال وبحوث الدكتور أحمد المتوكل من سنة:

1985 الوظائف التداولية في اللغة العربية. دار الثقافة، الدار البيضاء. إلى...

قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي. دار الأمان 1995.

ينظر أعمال وبحوث الدكتور أحمد المتوكل : بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان 1996.

(47) نقصد بها الثورات الثلاثة: البنيوية، التوليدية التحويلية، التبليغية أو الوظيفية.

(48) مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسان الحديث. دار طلاس، ط1. دمشق 1988. ص: 374.

(49) ينظر مصطلحات النظريات السابقة، وخاصة مصطلحات نظرية النحو الوظيفي.

(50) عبد الملك مرتاض: صناعة المصطلح في العربية. مجلة اللغة العربية. المجلس

الأعلى للغة العربية. ع: 2 مطبعة هومة 1999 ص: 19.

(51) نفسه. ص: 21.

نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح

(52) ينظر يحي بعيطيش: الوظائف التبليغية لتدريس قواعد اللغة العربية لدى تعريب أساتذة العلوم الإنسانية المكونين باللغة الفرنسية. ماجستير مرقونة في مكتبة جامعة قسنطينة. جامعة قسنطينة 1990.

(53) نفسه. ص: 43.

(54) ينظر ملكة أبيض: ما نفيده من التراث في تعريب المكونين العرب. محاضرة أقيمت في الملتقى الدولي لتعريب المكونين العرب. جامعة قسنطينة. من 29 إلى 31 مارس 1983.

(55) ينظر مجلة اتحاد الجامعات العربية. ع: 19 محرم 1404 هـ أكتوبر 1983. ص: 14.

(56) المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. ط3. بيروت 1984. ص: 116.

(57) ينظر كتاب المستشرق الألمانية سيغريد هونكي: شمس العرب تسطع على الغرب.

(58) ينظر التفاصيل في: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. مرجع سابق.

(59) ينظر مجلة الأصالة. ع: 57 السنة السابعة. ماي 1978.

(60) نفسه.

(61) ينظر مجلة اتحاد الجامعات. مرجع سابق. ص: 16.

(62) ينظر يحي بعيطيش: الوظائف التبليغية. مرجع سابق. ص: 58.